لكن النزعة الإنسانية كانت تهتم باللغة لذاتها ، وليس ثم فرق ـ هنا ـ بين العناية باللغة والعناية بروح الإنسان ، هذه الروح متميزة من المنطق وخدمة الهدف المحدود . كل شيء ـ هنا ـ يجب عليه أن يسعى إلى الإنسان ، أو يجب على الإنسان أن يدخله فى حوزته .

وفى إطار هذا الجو الجديد اهتم الأستاذ أمين الخولى فى دراسته المتعاقبة مدة تزيد على ربع قرن بجوانب كثيرة منها إحياء الدعوة إلى ما كان يسميه باسم المنهج الأدبى فى درس البلاغة . . ذلك المنهج المتميز من المنهج الخطابى النظرى . كان المنهج الأول ـ عنده ـ شديد الاهتمام بالممارسة على حين كان المنهج النظرى شديد الاهتمام بالقسمة والتعريف . كان المنهج الأول يستكثر من الشواهد والأمثلة لأن أصحابه يريدون للقراء وجدانا أرفع أو حساسية أعمق . وغاية البلاغة عندهم هى أن يقرءوا النصوص فيستمتعوا ، على حين اختفت متعة القراءة من أذهان المؤلفين على طريقة الدراسة النظرية . وأهم من ذلك كله أن أصحاب المنهج الأدبى ـ كانوا يشيدون بالأريحية والذوق والخبرة الشخصية . كانت الثقافة الأدبية عند هؤلاء فيما يرى الأستاذ أمين متميزة الملامح من الثقافة الفلسفية أو العقلية التى طغت فى الكتب المعروفة باسم شروح التلخيص .

فلا غرابة إذا وجدنا الأستاذ الخولى يكتب مادة البلاغة فى دائرة المعارف الإسلامية حين نشرت فى العربية لأول مرة ، ويؤكد أن البلاغة يجب أن تلتمس لغرض ثان ، ويجب أن تدار بأسلوب ملائم لطبيعة الأدب والشعر ومكانته فى حياة الإنسان . .

وما أكثر ما بذل الأستاذ الخولى فى بيان الفرق بين الحكم العقلى والحكم الفنى ، وما أكثر ما وقف عندما كان يسميه فى قاعات الدرس باسم وقع الأشياء على الوجدان ، تفقد الأشياء وجودها المتميز وتستحيل إلى خبرة ذاتية .

وهكذا نظر الرواد إلى نماذج المهارة نظرة الريب ، وكان اهتمامهم بما يسمونه الروح أو الوجدان نوعا من التأمل الثانى فى بعض المصطلحات القديمة مثل المعاينة والطبع ، كانت البلاغة عند المتقدمين تدريبا على التكيف العملى[٥] على حين كان

---

(٥) أذكر من ذلك على الخصوص كيف كرّ الاستاذ العقاد على تشبيهات بن المعتز ، وكان يسميها باسم التشبيه لمحض التشبيه ، وكان يرى أنها تقيس المحسوسات بعضها إلى بعض قياسا دقيقا ، ولكنها لاتعلمنا كيف يكون وجداننا هذه المحسوسات ولا تزيد لذلك حياتنا ثراء .